الفصل السادس

أمير البحرين والمدينة المنورة

بَعث رسول الله ﷺ العَلاَء بن الحَضْرمي أميراً على البَحْرين، وأَرسل معه أبا هريرة، وأوصاه به خيراً، وفي هذا لفتة غالية من حُبِّ النبي ﷺ لأبي هريرة، وتزكيته له، والحفاوة به، وإرادة الخير له. كما أن فيه تدريباً له على القيام بشؤون الإمارة وإدارة البلاد وسياسة العباد.

وتجدَّد ذهابُ أبي هريرة مع العَلاء ثانيةً إلى البحرين، حينما ولاَّه أبو بكر إمارتها.

فكان لأبي هريرة في هاتين المرتين فائدة كبيرة، خَبِر من خلالها أهـلَ البحرين وطبائعهم، وطريقة سياستهم وتوجيه أمور حياتهم، وأَلِفَهم وأَلِفُوه، حيث كان كالوزير للعلاء، لوصاة النبي ﷺ به، ولكونه واحداً من أولئك الصحب الكرام الذين عاشوا في الصُّفَّة في كَنَف النبي ﷺ.

وكأن الأقدار الحكيمة قد ساقت أبا هريرة إلى هذه البلاد توطئة لمرحلة قادمة، وتمهيداً لعهد جديد في حياته، وذلك عندما بعثه عمر الفاروق أميراً على البحرين على وجه الاستقلال، فاجتمع له تزكيـة

رسول الله ﷺ وصاحبيه أبي بكر وعمر.

وينقضي عهدُ الراشدين، وتأتي أيام بني أمية، وأبو هريرة مقيمٌ في المدينة المنورة، وله عند الخلفاء والأمراء ما لأصحاب النبي ﷺ من المنزلة والتكريم. فكان مروان بن الحَكَم أمير المدينة لمعاوية، يستخلف أبا هريرة إذا غاب عنها أو ذهب للحج وغيره، فيقوم أبو هريرة بإدارة شؤونها، وسياسة أهلها، والحُكْم بينهم، والفَصْل في أقضيتهم، ويؤمُّهم في صلواتهم، ويخطبهم في الجمع والأعياد، ويتولى تعليمهم ونُصحهم وتأديبهم. فكان في البحرين والمدينة أميراً ومعلماً، متبعاً ما تربى عليه في كنف النبي ﷺ.

ولم يكُ رضي الله عنه متطلِّعاً للإمارة ساعياً إليها حريصاً عليها، لكنه إذا أُسندت إليه قام بحقوقها وأدَّى واجباتها، لِمَا عَلِمه من سنة رسول الله ﷺ في التحذير منها، والتخويف من عواقب الإخلال بمتطلباتها.

عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «وَيلٌ للأُمراء، ويلٌ للعُرفاء، ويلٌ للأُمناء، ليَتَمنَّيَنَّ أقوامٌ يومَ القيامة أن ذوائبهم كانت معلَّقةً بالثُّرَيَّا، يَتذبذبُون بين السماءِ والأرضِ، ولم يكونوا عَمِلوا على شيءٍ»[1].

---

(١) أخرجه أحمد (٨٦٢٧) ـ واللفظ له ـ؛ والطيالسي (٢٥٢٣)؛ وأبو يعلى =

في البحرين وزيراً وأميراً

في عهد النبي ﷺ:

قال محمد بن سعد: أخبرنا محمد بن عُمر الواقِديُّ، قال: حدَّثني عبد الله بن يزيد، عن سالم مولى بني نَصْر قال: سمعت أبا هريرة، يقول: (بَعَثني رسولُ الله ﷺ مع العَلاَء بن الحَضْرمي، وأوصاه بي خيراً، فلما فَصَلْنا قال لي: إن رسول الله ﷺ قد أوصاني بك خيراً، فانظُرْ ماذا تحبُّ، قال: قلت: تجعلُني أُؤَذِّن لك، ولا تَسبقْني بآمين. فأعطاه ذلك)[1].

والواقِديُّ ليس بحجَّة، لكن للقصة شواهد، فروى سعيد بن منصور من طريق محمد بن سيرين: (أن أبا هريرة كان مؤذِّناً بالبحرين، وأنه اشترط على الإمام أن لا يسبقه بآمين). والإمام بالبحرين كان العلاء بن الحَضْرمي[2].

وقد ذكرنا[3] أن هذا البعث كان بعد انصراف النبي ﷺ من عمرة

= (٦٢١٧)؛ والبيهقي: ١٠/ ٩٧؛ والحاكم: ٤/ ٩١ وصححه ووافقه الذهبي؛ وأخرجه بنحوه ابن حبان (٤٤٨٣). وانظر حديثاً آخر بمعناه عند أحمد (٨٩٠١) و(١٠٧٣٧).

(١) طبقات ابن سعد: ٤/ ٣٦٠؛ ابن عساكر: ٦٧/ ٣٢٨.

(٢) الفتح: ٢/ ٢٦٣؛ وانظر ما قدمناه، ص١٠٨ حاشية (٣).

(٣) ص٧٠ فقرة «مدة صحبته رسول الله ﷺ».

الجِعْرَانة أواخر ذي القعدة من سنة ثمان، وأن أبا هريرة حَجَّ مع أبي بكر سنة تسع، وشارك في إعلان البراءة، فتكون مدة غيبته هذه قريباً من سنة فقط.

في عهد أبي بكر:

أورد ابن سعد في «طبقاته» مايدلُّ على أن أبا هريرة عاد إلى البحرين في خلافة أبي بكر الصديق، فروى أن أبا بكر دعا العلاء وقال له: (إني وجدتُك من عمَّال رسول الله ﷺ الذين ولَّى، فرأيتُ أن أولّيك ما كان رسول الله ﷺ وَلاَّك، فعليك بتقوى الله. فخرج العلاء بن الحضرمي من المدينة في ستة عشر راكباً معه فُرات بن حَيَّان العِجْلي دليلاً...). وذكر قصة، وفيها فتحُ العلاءِ لبعض البلاد منها «دارين»، سنة (١٤هـ)، وكان أبو بكر قد توفي[١].

ثم ذكر ابن سعد بإسناده عن مُجالِد، عن الشعبي: أن عمر بن الخطاب كتب إلى العلاء وهو بالبحرين، أن يذهب إلى عُتبة بن غَزْوان ليخلُفَه في عملِه، قال: (فخرج العلاء بن الحضرمي من البحرين في رَهْط، منهم: أبـو هريرة وأبو بَكْرة). ومات العلاء في الطريق، ورجع أبو هريرة إلى البحرين[٢].

---

(١) طبقات ابن سعد: ٤/ ٣٦١ـ٣٦٢.
(٢) المرجع السابق: ٤/ ٣٦٢ـ٣٦٣.

فهذا يدلّ على أن أبا هريرة رجع إلى البحرين، وكان في صحبة أميرها العلاء بن الحضرمي حين ولاه أبو بكر عليها، وكان فيها سنة (١٤هـ).

في عهد عمر بن الخطاب:

استعمل عمر قُدَامةَ بن مَظْعون ـ وهو ممَّن شهد بدراً ـ على البحرين، وكان معه فيها أبو هريرة[١].

وفي «فتوح البلدان» عن أبي مِخْنَف في ذِكْر العَلاءَ بن الحَضْرمي: (كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى العلاء بن الحضرمي ـ وهو عامِلُه على البحرين ـ يأمره بالقدوم عليه، وولَّى عثمانَ بن أبي العاص الثقفي البحرين وعُمَان. فلما قدِمَ العلاء المدينة ولاَّه البصرة مكانَ عُتْبة بن غزوان، فلم يصلْ إليها حتى مات، وذلك في سنة أربع عشرة أو في أول سنة خمس عشرة. ثم إن عُمر ولَّى قُدَامة بن مَظْعُون الجُمحِيَّ جبايةَ البحرين، وولَّى أبا هريرة الأحداث والصلاة).

وفيه عن الهيثم قال: (كان قُدامة بن مَظْعون على الجباية والأحداث، وأبو هريرة على الصلاة والقضاء، فشهد على قُدامة بما شهد به، ثم ولاَّه عمر البحرين بعد قُدامة، ثم عَزَله وقاسَمَه، وأَمَره بالرجوع

---

(١) مصنف عبد الرزاق (١٧٠٧٦)؛ الإصابة: ٣/ ٢٢٠، وفي الخبر قصة حَدّ قُدامة بشُرب الخمر.

فأَبَى، فولاَّها عثمان بن أبي العاص، فمات عمر وهو واليه عليها)[1].

وروى عامر الشعبيُّ، عن المُحَرَّر بن أبي هريرة، عن أبيه أبي هريرة: (أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه دَعَا أصحابَ رسول الله ﷺ، فقال: إذا لم تُعينوني فَمن يُعينني؟ قالوا: نحن نُعِينُك. فقال: يا أبا هريرة، ائتِ البَحْرين وهَجَر أنت العام. قال: فذهبتُ)[2].

قلت: هذا النص دليلٌ باهرٌ وحجَّة ناطِقةٌ على أن أبا هريرة كان من أعيان الصحابة المقرَّبين عند عمر، ومن أهل الحَلّ والعَقْد، الذين يَتوجَّه إليهم أمير المؤمنين ليكونوا أعوانَه الأوفياء، وأمراءَه الأقوياء، ووزراءَه الأمناء، الذين يَعتمد عليهم في تسيير أمور الرعية، والقيام بأعباء الدولة وسياسة شؤونها.

وذكر الطبري وغيره في أحداث سنة (٢٠هـ) أن عمر استعمل أبا هريرة على البحرين واليمامة[3].

قال ابن سعد: أخبرنا عَمْرو بن عاصم الكِلاَبيُّ، قال: حدَّثنا

---

(١) فتوح البلدان، ص٥٦ ـ ٥٧.

(٢) الخراج لأبي يوسف، ص١١٤. البحرين: اسم لسواحل نجد بين قطر والكويت، وكانت «هجر» قصبته، وهي «الهفوف» اليوم، وقد تسمى «الحسا»، ثم أطلق على هذا الإقليم اسم «الأحساء» حتى نهاية العهد العثماني. انظر المعالم الأثيرة، ص٤٤.

(٣) تاريخ الطبري: ٤/ ١١٢؛ البداية والنهاية: ٧/ ١٠١.

همَّام بن يحيى، قال: حدثنا إسحاق بن عبد الله: (أنَّ عمر بن الخطاب قال لأبي هريرة: كيفَ وجدتَ الإمارة يا أبا هريرة؟ قال: بَعَثْتَني وأنا كارهٌ، ونزعتَني وقد أحببتُها. وأتاه بأربع مئة ألف من البحرين، فقال: أَظَلَمْتَ أحداً؟ قال: لا، قال: أخذتَ شيئاً بغير حقِّه؟ قال: لا، قال: فما جئتَ به لنَفْسك؟ قل: عشرين ألفاً، قال: من أين أصبتَها؟ قال: كنتُ أتَّجِر، قال: انظُرْ رأسَ مالِك ورِزْقَك فَخُذه، واجعلِ الآخرَ في بيت المال)[1].

وقال عبد الرزاق: أخبرنا مَعْمر، عن أيوب السَّخْتياني، عن ابن سيرين: (أن عمر بن الخطاب استعمل أبا هريرة على البحرين، فقدِم بعشرة آلاف، فقال له عمر: استأثرتَ بهذه الأموال يا عَدوَّ الله وعدوَّ كتابه؟! فقال أبو هريرة: لستُ بعدوٍّ الله وعدوٍّ كتابه، ولكنِّي عدوُّ مَن عاداهما. قال: فمن أين هي لك؟ قال: خيلٌ نُتِجَتْ، وغَلَّةُ رَقيق لي، وأَعْطِيةٌ تتابعتْ عليَّ. فنظروا فوجدوه كما قال. فلما كان بعد ذلك، دعاهُ عمر ليستعملَه، فأبى أن يعمل له، فقال له: تكرهُ العملَ وقد طلبَ العملَ من كان خيراً منك، طلبه يوسُف عليه السلام؟! فقال: إن يوسف نبي ابن نبي ابن نبي ابن نبي، وأنا أبو هريرة ابن أُمَيْمة، وأخشى ثلاثاً

---

(١) طبقات ابن سعد: ٤/ ٣٣٥ ـ ٣٣٦؛ وذكره الذهبي في «السير»: ٢/ ٦١٧ ـ ٦١٨، وقال شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات، لكنه منقطع، إسحاق لم يدرك عمر.

واثنتين. قال عمر: فهلاَّ قلتَ خمساً؟ قال: أخشى أن أقول بغيرِ عِلم وأقضي بغير حِلْم، أو يُضربَ ظهري، ويُنتزَعَ مالي، ويُشْتَم عِرْضي)[1].

وعن هشام بن حسَّان، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة قال: (لما قدِمتُ من البحرين، قال عمر: يا عدوَّ الله وعدوَّ الإسلام، خُنتَ مالَ الله! قال: لستُ بعدوٍّ الله ولا عدوِّ الإسلام، ولكني عدوٌّ من عاداهما، ولم أَخُنْ مالَ الله، ولكنها أثمانُ خيلٍ لي تناجَتْ عندي، وسهامٌ لي اجتمعت. قال: فكرَّر ذلك عليَّ ثلاثَ مرات، فكلُّ ذلك أردُّ عليه. فأَغْرَمني اثني عشر ألف درهم. قال: فقمتُ في صلاة الغَدَاة، فقلت: اللهمَّ اغفِرْ لأمير المؤمنين. فأرادني بعد ذلك على العمل، فقلت: لا أعملُ لك، قال: أَوَليس يوسفُ كان خيراً منك، وقد سألَ العملَ؟ قلت: إن يوسف نبي وابن نبي، وأنا ابن أُميمة، وإني أخاف ثلاثاً واثنتين. قال: أَلاَ تقول خمساً؟ قلت: لا، أخاف أن أقول بغير حِلْم وأَقضي بغير عِلْم، وأن يُضربَ ظَهْري، ويُشْتَم عِرْضي، ويُؤخذَ مالي)[2].

---

(١) تاريخ ابن عساكر: ٦٧/ ٣٧٠؛ البداية والنهاية: ٨/ ١١٣؛ وذكره المعلمي في «الأنوار الكاشفة»، ص٢١٠ وقال: السند بغاية الصحة.

(٢) ابن عساكر: ٦٧/ ٣٧١؛ وبنحوه في طبقات ابن سعد: ٤/ ٣٣٥؛ والحلية: ١/ ٣٨٠ ـ ٣٨١؛ وفتوح البلدان، ص٥٧؛ والأموال لأبي عبيد، ص٢٨٢ ـ ٢٨٣، وألفاظهم متقاربة، وهو خبر صحيح أيضاً؛ وذكره الذهبي في السير: ٢/ ٦١٢ ـ ٦١٣؛ وابن كثير في البداية والنهاية: ٨/ ١١١ ـ ١١٣.

قلت: قد كان عُمر رضي الله عنه للصحابة بمنزلةِ الوالد، يَعطف ويُشفق، ويؤدِّب ويشدِّد، وكان الصحابة رضي الله عنهم قد عرفوا له ذلك. وقد تناول بِدِرَّته بعضَ كبارهم كسعد بن أبي وقاص، وأُبيّ بن كعب، فلم يزدْهُ ذلك عندهم إلا حُبّاً. وقد تبيَّن أن المال الذي جاء به أبو هريرة لنفسه من البحرين هو من خَيْله ورقيقه وأَعْطِيته وسِهَامه، وأخذُ عمر له أو لبعضه لا يدلّ إلا على الاحتياط منه رضي الله عنه. ومما يؤيد ذلك: ما جاء في الرواية أنهم: (نَظَروا، فوجدوه كما قال). وأيضاً عزمُ عمرَ على توليته فيما بعد، فامتنع أبو هريرة من قبول ذلك[1].

فلو أن عمر شَكَّ في أمانة أبي هريرة، وأنه خان الأمانة، واختَلَس مال الأمة ـ وحاشاه أن يفعل ذلك ـ لما عَرَض عليه ولايةَ البحرين ثانية، فكيف يُولِّي مَن قد خان؟!.

زِدْ على هذا أن لو كان أبو هريرة مُرْتاباً في موقفه، ويرى أدنى شبهة في ماله، لاستكانَ أمام هيبة عمر، ولَخَفَض من صوته عنده، ولَمَا جابَهه بتلك الكلمات القوية: (لستُ بعدوِّ الله ولا عدوِّ الإسلام، ولكني عدوُّ مَنْ عاداهما)، فيكرِّر عمر عليه ثلاثَ مرار، وأبو هريرة يردُّ عليه بمثلها. وهذا موقفُ الأمين الشجاعِ الواثقِ بنزاهته، وطهارةِ ماله، ونقاءِ

---

(١) انظر ما كتبته في ترجمة أبي هريرة من «أعلام الحفاظ والمحدثين»: ٢/ ٢٤٨؛ والأنوار الكاشفة، ص٢٠٨ ـ ٢١١.

سيرته، واستقامة حُكْمه في ولايته.

ثم انظر إلى ذلك الموقف الفَذّ من أبي هريرة، حيث قام غَدَاة ذلك اليوم وصلَّى الفجر، ودَعَا لأمير المؤمنين، واستغفر له، لعلمه التام بأن عمر إنما يجتهد للولاة ويريد أن يضعهم فوق الشبهات، فعرفوا له ذلك الورع العالي، وأذعنوا لمنهجه الفريد، ودعوا له بالمغفرة. إنها النفوس الزكية المباركة التي رباها رسول الله ﷺ.

أمير المدينة المنورة

روى فُلَيح بن سُليمان، عن سعيد بن الحارث قال: (كان مروان يَستخلِف أبا هريرة إذا حَجَّ أو غاب).

وروى أبو جعفر الباقر، عن عُبيد[1] الله بن أبي رافع قال: (استخلَفَ مروانُ أبا هريرة على المدينة، وخرج إلى مكة)[2].

وعن أبي سَلَمة، عن أبي هريرة قال: (كان مروانُ يَستخلِفُه على الصلاة إذا حَجَّ أو اعتمر، فيصلِّي بالناس، فيكبِّر خَلْفَ الركوع، وخَلْفَ السُّجود، فإذا انصرف قال: إني لأَشْبَهُكم صلاة برسول الله ﷺ)[3].

---

(١) في طبقات ابن سعد: (عبد الله)، وهو تحريف.

(٢) أخرجهما ابن سعد في طبقاته: ٤/ ٣٣٦.

(٣) أخرجه أحمد (١٠٨٢١) ـ واللفظ له ـ؛ والبخاري (٧٨٥)؛ ومسلم (٣٩٢) وغيرهم.

وقال عبد الرزاق: أخبرنا مَعْمر، عن محمد بن زياد قال: (كان معاوية يَبْعَث أبا هريرة على المدينة، فإذا غَضِب عليه عزَلَه وبعث مروانَ. قال: فَبَعث مروانَ على المدينة، فجاءَ أبو هريرة يدخل على مروان، فحَجَبَه. فلم يَلبثْ أن نزَعَ مروانَ، وبعث أبا هريرة، قال: فقال لغلامٍ أسودَ: قِفْ على الباب، فلا تمنعْ أحداً أن يدخلَ، فإذا جاء مروان فاحْبِسْه. قال: ففعلَ الغلام، ودخل الناس، وجاء مروان ليدخلَ، فقام إليه الأسودُ فدَفَعَه في صَدْرِه، وقال: ارجِعْ. قال: ثم دخل مروان بعد ذلك، فقال لأبي هريرة: حُجِبْنَا منك! قال: إنَّ أحَقَّ من لا أَنْكَر هذا لأنتَ)[1]

وأورد ابن كثير هذا الخبر، وعَلَّق عليه فقال: (والمعروف أن مروان هو الذي كان يَستنيب أبا هريرة في إِمْرة المدينة، ولكن كان يكون عن إِذْنِ معاوية في ذلك، والله أعلم)[2].

وقال عُبيد الله بن أبي رافع: (كان مروانُ يَستخلِفُ أبا هريرة على المدينة، فاستخلَفَهُ مرةً فصلَّى الجمعة، فقرأ سورةَ الجُمعة، و﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ . . .) الحديث[3].

---

(١) ابن عساكر: ٦٧/ ٣٧٢؛ سير أعلام النبلاء: ٢/ ٦١٣؛ البداية والنهاية: ٨/ ١١٣. وإسناده صحيح ورجاله رجال الشيخين.

(٢) البداية والنهاية: ٨/ ١١٣.

(٣) أخرجه أحمد (٩٥٥٠) وغيره، وقد مرَّ بتمامه، ص١٠٥ حاشية (١).

وروى شعبة عن أبي عُثَيْمة[1] سَلَمة بن المجنون قال: (عَقَلْتُ بَعيري، ودخلتُ المسجد، فجاء رجلٌ فأطلَقَه، فجئتُ إليه فقلت: يا فاعلاً بأمِّه! فرفعني إلى أبي هريرة، فضَرَبني ثمانين، فركبتُ بعيري، وأنا أقول:

لَعَمْرُكَ إنِّي يومَ أُضْرَبُ قائِماً ثمانينَ سَوْطاً إنَّني لَصَبُورُ)[2]

وقد ترجم له محمد بن خَلَف المعروف بوكيع في كتابه «أخبار القضاة»، حيث ذكره في «قضاة بني أمية بالمدينة»، وأورد بعض الأخبار في أقضيته[3].

وذكرت في فقرة «دُعَابته» بعضَ أخباره في إمْرته على المدينة[4].

* * *

---

(١) انظر ترجمته في: التاريخ الكبير: ٤/ ٧٢؛ والجرح والتعديل: ٤/ ١٧٢. ويقع في بعض المصادر (عن أبي ميمون) و(عن أبي ميمونة).

(٢) أخبار القضاة: ١/ ١١١؛ وبنحوه في: علل أحمد برواية عبد الله (٤٧٤١) و(٤٧٤٢)؛ والسنن الكبرى للبيهقي: ٨/ ٣٥١؛ وانظر المعرفة والتاريخ للفسوي: ٣/ ١٩٦ ـ ١٩٧.

(٣) أخبار القضاة: ١/ ١١١ ـ ١١٣.

(٤) انظر: ص١٤٠ ـ ١٤٣.

الباب الثاني

مع الخلفاء والأمراء وآل البيت

مواقف وحقائق

توطئة .

الفصل الأول : مع أبي بكر الصديق .

الفصل الثاني : مع عمر بن الخطاب .

الفصل الثالث : مع عثمان بن عفان .

الفصل الرابع : مع علي بن أبي طالب .

الفصل الخامس : مع آل البيت الطيبين والشيعة المتقدمين ودفع شبه الرافضة .

الفصل السادس : مع بني أمية .